المبادئ النظريّة العامّة في الكلمات الدخيلة في اللغة

الدكتور ربيع مكّي*

١-١ إنّ احتكاك الشعوب أو اتّصال بعضها ببعض يُولِّد دائمًا تفاعلاً في اللغة. وهذا الاحتكاك على أنواع متعدّدة، منها الاحتكاك التجاريّ والاحتكاك الثقافيّ والاحتكاك العسكريّ وما قد ينتج عنه من فتح أو احتلال. فقد يأخذ شعب من شعب آخر، كنتيجة لهذا الاحتكاك، كلمات تدلّ على أشياء وأفكار لم يكن له علم بها وليس لديه الكلمات أو التعابير المناسبة للدلالة عليها. من هنا يتبيّن أنّ الكلمات الدخيلة، وعلى الأخصّ تلك التي تتعلّق بالأمور العلميّة والفنّيّة والأدبيّة، وكما تؤكّد البحوث العلميّة، تدلّ على تفوّق الأمّة التي من لغتها قد أُخذت. وهكذا، فاللغة التي يتمتّع أهلها بتفوّق أو امتياز في ميدان ما من ميادين العلوم والفنون وغيرها تأخذ منها اللغات التي تحتكّ بها ما تفتقر إليه من كلمات في ذلك الميدان.

فالعرب، مثلاً، في القرنين السابع والثامن الميلاديّ لم يحقّقوا فقط الانتصارات العسكريّة التي أسفرت عن فتوحات واسعة قلّ نظيرها في التاريخ لممالك وبلدان في القارّات الثلاث المعروفة آنذاك (تشمل إسبانيا والبرتغال في أوروبّا وشمال أفريقيا وكلّ الجزيرة العربيّة وسوريا الكبرى وأهمّ جزر البحر الأبيض المتوسّط وكلّ بلاد فارس)، بل حقّقوا أيضًا تفوّقًا ملحوظًا على غيرهم في شتّى ضروب العلم والفنّ والمعرفة، وحافظوا على

(*) أستاذ الألسنيّات في الجامعة اللبنانيّة ـ الفرع الأوّل ـ قسم اللغة الإنكليزيّة.

هذا التفوّق على امتداد العصور الوسطى. فكلّ الشعوب التي احتكّت بهم في تلك العصور أخذت عنهم ليس فقط كلّ ما وصلوا إليه من علوم وفنون ومعارف وخلاصة ما طوّروا واختبروا من بعض النظريّات العلميّة التي آلت إليهم من بعض الأمم، بل أخذت أيضًا، وبحسب حاجة كلّ منها، الألفاظ والتعابير العربيّة المتعلّقة بتلك العلوم والمعارف.

فأوروبّا، مثلاً، وكما يرى لوغن سمث[1]، «جنت أضخم الفوائد من (احتكاكها بـ) ثقافة العرب ومدنيّتهم السامية. فالعرب، سواء أكانوا في الشرق أم في إسبانيا، أبقوا مشاعل العلم نيّرة في الوقت الذي كان الظلام لا يزال يلفّ أوروبّا». أمّا تريفلين فيؤكّد «أنّ النسيج (الأدبيّ) الثريّ والمتعدّد الألوان السائد في آخر العصور الوسطى، في عالم دانتي وعالم تشوسر، لم يكن مطلقًا ليظهر إلى الوجود لو بقيت أوروبّا الهمجيّة مغلقة على نفسها كما كانت قبل الحروب الصليبيّة»[2].

فمن الكلمات العربيّة التي دخلت معظم ـ أو بعض ـ اللغات الأوروبيّة نكتفي بذكر بعض من تلك المتعلّقة بالعلوم (الرياضيّة والكيميائيّة والفلكيّة) والتجارة.

الجبر (الإنكليزيّة والألمانيّة والليثوانيّة algebra والفرنسيّة algèbre واليونانيّة alyevra، إلخ)، الكيمياء (الإنكليزيّة alchemy, chemistry والألمانيّة alchemie, chemie واللاتينيّة alchymia واليونانيّة alkhimiya والفرنسيّة alchimie, chimie والروسيّة alkhimia والليثوانيّة chemiya والفنلنديّة kemia، إلخ)، الكحل (الإنكليزيّة alcohol والألمانيّة alkohol واللاتينيّة alkolikos والروسيّة alkagol والفرنسيّة alcool، إلخ)، الأكسير (الإنكليزيّة والفرنسيّة elixir والألمانيّة elixier واليونانيّة elixiron والروسيّة elexir، إلخ)، الدبران (الإنكليزيّة aldebran والفرنسيّة aldébran، إلخ)، صفر (الإنكليزيّة cipher, zero والألمانيّة ziffer, zero والفرنسيّة chiffre,

(١) Logan Smith. *The English Language*, 1952: 142.

(٢) G. M. Trevelyan. *A Shortened History of England*, 1970: 142.

zéro، إلخ)، مخزن (الإنكليزيّة magazine والألمانيّة magazin والإسبانيّة almacen والإيطاليّة magazzino والفرنسيّة magasin، إلخ) السكّر (الإنكليزيّة sugar والألمانيّة zucker واللاتينيّة succarum واليونانيّة zakhari والإيطاليّة zucchero والروسيّة sakhar والفرنسيّة sucre، إلخ)، وكافور (الإنكليزيّة camphor واللاتينيّة camphora واليونانيّة kafoura والألمانيّة kampfer والروسيّة kamfara والفرنسيّة camphre، إلخ).

ولعلّ من المفيد التوضيح هنا بأنّ الكلمات العربيّة الواردة أعلاه لم تدخل كلّ اللغات الأوروبيّة عن طريق الأخذ المباشر من العرب، بل دخلت أوّلاً واحدة أو أكثر من هذه اللغات ومن ثمّ انتقلت إلى اللغات الأخرى.

فكلمة «سكّر»، مثلاً، دخلت أوّلاً إلى اللغة اللاتينيّة ثمّ انتقلت منها إلى اللغة الإيطاليّة، ومن الإيطاليّة انتقلت إلى الفرنسيّة، ومن هذه الأخيرة إلى الإنكليزيّة، وهكذا. ومن الجدير بالذكر أنّ هذه الكلمة بالذات ليست من أصل عربيّ. فقد استعارتها اللغة العربيّة من الفارسيّة (شَكَر)، واللغة الفارسيّة بدورها أخذتها من السنسكريتيّة (شَرْكَرا).

واللغة العربيّة بوصفها لغة الدين والثقافة الإسلاميّين تركت عميق الأثر في كلّ لغات المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. فلا تكاد تخلو لغة من هذه اللغات (الإيرانيّة، الأرديّة، التركيّة، الأندونسيّة، الألبانيّة، الهوسا في نيجيريا، إلخ) من آلاف الكلمات المأخوذة من العربيّة بشكل مباشر أو غير مباشر.

واللغة الإنكليزيّة، وبشكل خاصّ الأمريكيّة منها، تقدّم مثلاً آخر للغة هي الآن منهل لشتى العلوم والفنون، فهي تعطي اللغات الأخرى ما تحتاج إليه من مفردات لتساعد في نموّها وتطوّرها. فكلمات مثل «الكمبيوتر» و«تكنولوجيا» في اللغة العربيّة المعاصرة أو غيرها شاهد على تفوّق اللغة الإنكليزيّة في النواحي العلميّة.

واللغات اليونانيّة واللاتينيّة والصينيّة والسنسكريتيّة هي كاللغة العربيّة تشترك معها في الامتياز بأنّها لغات لحضارات راسخة معطاءة عملت كمعين ثقافيّ وحضاريّ لغيرها من اللغات وساعدتها في التطوّر بتزويدها بكلّ ما احتاجت إليه من مصطلحات وتعابير فكريّة وثقافيّة.

١-٢ والأمّة، أيّ أمّة، في كلّ زمان ومكان، لا تأخذ شيئًا يذكر أو ذا أهمّيّة من لغة قوم تعتبرهم دونها، مغلوبين على أمرهم، لا حول لهم ولا قوّة. وهذه الحالة اللسانيّة تظهر عادة كلّما احتكّت أمّة بأمّة أخرى عن طريق الفتح العسكريّ. فلغة الأمّة القويّة المسيطرة عسكريًّا وسياسيًّا تؤثّر دائمًا في لغة الشعب المغلوب وقلّما تتأثّر بلغته. وفي بعض الأحيان قد يتخلّى الشعب المغلوب على أمره عن لغة آبائه وأجداده ليتبنّى لغة شعب آخر قهره وساد عليه. وهناك أمثلة تكاد لا تحصى في تاريخ اللغات تلقي أضواءً ساطعة على مدى التأثير الذي تتركه لغة المسيطِر عسكريًّا وسياسيًّا على لغة المُسيطَر عليه.

فالرومان الذين قاموا بفتح بلاد الغال (فرنسا الآن) في أواسط القرن الأخير قبل الميلاد، وبريطانيا في عام ٤٣ ميلاديّة، لم تتأثّر لغتهم اللاتينيّة باللغة الكلتيّة المحكيّة في هذين البلدين. بل على العكس من ذلك، أثّرت اللغة اللاتينيّة، لغة الفتح والسيطرة، في اللغة الكلتيّة في كلا البلدين. ففي بلاد الغال استطاعت اللغة اللاتينيّة أن تحلّ محلّ اللغة الكلتيّة (Gaulish) وتطردها نهائيًّا من الوجود. أمّا في بريطانيا، فلقد تركت اللغة اللاتينيّة تأثيرًا كبيرًا في اللغة الكلتيّة المحكيّة هناك. وتقدّر الكلمات اللاتينيّة في اللغة الكلتيّة بنحو ٦٠٠ كلمة.

والقبائل الجرمانيّة، أجداد الإنكليز، الذين فتحوا بريطانيا واستوطنوا فيها في القرنين الخامس والسادس للميلاد، لم يأخُذوا كلمات تستحقّ الذكر من لغة الكلتيّين، سكّان بريطانيا الأصليّين؛ وإن أخذوا من شيء فأسماء أماكن وأنهار وتلال. «لندن» و«يورك» و«دوفر» و(نهر) «تايمز» بالإضافة إلى أسماء أخرى هي كلّ ما تركه الكلتيّون من تأثير يذكر في

الإنكليزيّة. وإذا ما استثنينا أسماء الأماكن، فإنّنا نجد أنّ الإنكليزيّة قد أخذت فقط بضع كلمات من الكلتيّة مثل binn «سلّة» و bratt «عباءة»، على أنّ هذه الكلمات لم تعمّر في اللغة فماتت حتّى قبل نهاية عصر الإنكليزيّة القديمة. فهذه النتيجة اللسانيّة لاحتكاك الإنكليز والكلتيّين يجب أن لا تفاجئ أحدًا لأنّ الفاتح الذي قهر شعبًا واستعبده يأنف أن يأخذ كلمات من لغته.

والفتح النورمانديّ لبريطانيا عام ١٠٦٦ ميلاديّة يقدّم مثلًا بارزًا على مدى التأثير الذي يمكن أن تتركه لغة الفاتح الغالب على لغة الأمّة التي أخضعها خضوعًا تامًّا لسلطانه. فاللغة الفرنسيّة، لغة الفاتح النورمانديّ[٣]، التي بقيت لنحو قرنين من الزمن بعد الفتح لغة الأدب والعلم والمدارس للطبقة الحاكمة وكلّ مؤسّسات الدولة في بريطانيا، تركت آثارًا عميقة في طبيعة المعجم الإنكليزيّ من خلال آلاف الكلمات التي أخذتها الإنكليزيّة منها. فمعظم الكلمات الإنكليزيّة المتعلّقة بأمور الدولة والإدارة وبأمور الكنيسة والدين، والقانون، والطبّ، والأدب والعلم، والأمور العسكريّة، والمأكولات وغيرها، أُخذت من اللغة الفرنسيّة. فيما يأتي ثلاثة أمثلة على كلّ شريحة من الشرائح المعجميّة الواردة أعلاه وبنفس الترتيب: government «حُكم»، authority «سلطة»، parliament «مجلس نوّاب»؛ religion «دين»، prayer «صلاة»، confession «اعتراف»؛ judge «قاضي»، sentence «حُكم»، crime «جريمة»؛ medicine «طبّ»، physician «طبيب»، remedy «دواء»؛ literature «أدب»، poet «شاعر»، study «دراسة»؛ army «جيش»، soldier «جندي»، battle «معركة»؛ dinner «عشاء»، pork «لحم خنزير»، mutton «لحم غنم».

---

(٣) النورمان، أو النورمانديّون، هم في الأصل أبناء عمّ الإنكليز، يعودون إلى القبائل الجرمانيّة الإسكندنافيّة، وقد قاموا بغزوات عديدة في أنحاء متفرّقة من فرنسا في القرن التاسع الميلاديّ قبل أن يستقرّوا في النورماندي، التي حملت اسمهم، وذلك في بداية القرن العاشر. ومع مرور الزمن لم يكتسب هؤلاء النورمان العادات والتقاليد الفرنسيّة فحسب، بل اللغة الفرنسيّة أيضًا.

وتعاطي اللغة الإنكليزيّة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة مع لغات سكّان البلاد الأصليّين (الهنود الحمر) مماثل لتعاطي الإنكليزيّة القديمة في بريطانيا مع الكلتيّين. فقد أخذت منها العديد من الكلمات الدالّة على أماكن جغرافيّة، كأسماء البلاد والمدن والأنهار وما أشبه ذلك مثل «مشيغن» و«أوهايو» و«كتكي» و«ميسيسيبّي» و«شيكاغو». وإذا استثنينا هذه الأسماء الجغرافيّة، فإنّنا لا نجد في اللغة الإنكليزيّة إلّا نحو الثلاثين كلمة مأخوذة من لغات الهنود الحمر. ومعظم هذه الكلمات هي أسماء لحيوانات ونباتات وأطعمة مثل راكون (raccoon) «نوع من الحيوان»، موس (moose) «نوع من الأيّل»، هوميني (hominy) «نوع من الذرة المجروشة تُغلى وتُؤكل».

وهذه الحالة اللسانيّة التي يأبى فيها الفاتح المقتدر استعارة مفردات وتعابير من لغة الشعب الذي قهره وصادر أرضه وقراره، تظهر أيضًا واضحة جليّة في تعامل اللغة العربيّة مع لغات الشعوب التي فتح العرب بلادها وأخضعوها.

فلا اللهجات اللاتينيّة المحكيّة في شبه الجزيرة الإيبيريّة (إسبانيا والبرتغال) أو في بعض جزر البحر الأبيض المتوسّط مثل صقليّة وغيرها، ولا لهجات لغة البربر (كشلحا وطوارق وقابيل) المحكيّة في المغرب والجزائر وتونس وليبيا، ولا القبطيّة المحكيّة في مصر، ولا بقايا لهجات اللغة الآراميّة (كالسريانيّة) المحكيّة في جيوب صغيرة من سوريا الكبرى استطاعت أن تترك أثرًا يستحقّ الذكر في اللغة العربيّة. وعلى العكس من هذا، فإنّنا نجد أنّ اللغة العربيّة فرضت نفسها لعدّة قرون لغةً للجزيرة الإيبيريّة، تمامًا كما تفرض نفسها اللغة الإنكليزيّة الأمريكيّة اليوم لغة للولايات المتّحدة الأمريكيّة. اللغة العربيّة ما زالت باقية في شمال أفريقيا كلّه. أمّا في جزر البحر الأبيض المتوسّط، فبقيت فقط في مالطا، لكن بشكل فيه الكثير من التحوير والتغيير.

وتفاعل اللغة العربيّة مع لغة الدولة الفارسيّة، التي فتحها المسلمون في أواسط القرن السابع الميلاديّ، يختلف عن تفاعلها مع اللغات الأخرى، إذ إنّها استعارت منها كلمات متعدّدة، خاصّة في بداية الفتح.

على أنّ هذه الكلمات سرعان ما بدأت تُهمل، ومع مرور الزمن بطل استعمال أكثرها، فلم يبق منها في التداول الفعّال إلّا عدد قليل.

والسبب في تسلّل الكلمات الفارسيّة إلى لغة الفاتح المسيطر ليس صعب الإدراك. فالعرب بفتحهم لبلاد فارس شاهدوا حضارة أغنى من أيّ شيء ألفوه في الجزيرة العربيّة وشاهدوه في فتوحاتهم. فكان من الطبيعيّ إذن أن يأخذ العرب من الفرس الأكثر تمدّنًا كلمات لأسماء أطعمة وحلوى لم يعرفها نظامهم الغذائيّ من قبل، وكلمات لفنون يدويّة لم تتلمّس أيديهم بعد سُبل محاكاتها، وأسماء لبعض النباتات والحيوانات التي لم يروها من قبل، وكلمات لبعض الأشياء المنزليّة والثياب. فعلى سبيل المثال نذكر لوزينج «نوع من الحلوى»، فانيد «نوع من الحلوى»، بهط «نوع من الطعام»، طباهجه «نوع من الطعام»، زردة «نوع من الطعام»، فيشفارج «نوع من الطعام»، سكباج «نوع من الشوربا»، سكنجين «نوع من الشراب»، دستيج «نوع من الآنية»، زلية «نوع من البساط»، فرند «نوع من الثياب»، دخدار «نوع من الثياب»، إلخ. بيد أنّ كلّ هذه الكلمات ومعظم مثيلاتها مماتة منذ عدّة قرون.

على أنّ أكثر الكلمات التي أخذها العرب من اللغة الفارسيّة أسماء لنباتات وحيوانات وطيور. ومصير هذه الكلمات في اللغة العربيّة لم يكن أحسن حالًا من مصير الكلمات الآنفة الذكر. فأكثريّتها مماتة منذ قرون عديدة. فمن الكلمات المماتة نذكر قوتاش «نوع من الجاموس»، دلق «نوع من الحيوان»، سيب «تفّاح»، سيسنبر «نوع من النبات الطيّب الرائحة»، خربز «بطّيخ»، زرنب «نوع من النبات»، كرز «نوع من الطير»، إلخ. ومن الكلمات القليلة التي بقيت نذكر بستان، ياسمين، مردقوش، وجاموس.

وهناك بعض الكلمات الفارسيّة الأصل المتعلّقة بالموسيقى مثل دستانة «وتر»، وچنك «آلة موسيقيّة»، كلتاهما مماتة منذ قرون.

والبقيّة من الكلمات الفارسيّة في العربيّة الفصحى تتعلّق بأمور الدولة والحكم مثل مهتار «أمير، وال» وموبذ «حاكم المجوس» ودفتردار «رئيس

الخزانة» ودستور. كلّ هذه الكلمات ومثيلاتها، باستثناء «دستور»، ممات.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ المصير الذي تعرّضت له الكلمات الفارسيّة في اللغة العربيّة ـ من حيث إنّ عددها كان كبيرًا في البداية ثمّ، مع مرور الزمن، أخذ بالتراجع والتقلّص على النحو المشار إليه أعلاه ـ يُشبه إلى حدّ ما المصير الذي تعرّضت له الكلمات التي أخذتها اللغة الإنكليزيّة الأمريكيّة من لغات الهنود الحمر. فقد ذكر H.L. Mencken في كتابه *The American Language* أنّ عدد الكلمات التي أخذها الأمريكيّون من الهنود الحمر كان في البداية ١٣٢ كلمة، ومع مرور الزمن، أخذ هذا العدد يتراجع تدريجيًّا حتّى لم يبق منه في الإنكليزيّة الأمريكيّة الحاضرة إلّا ٣٤ كلمة فقط.

١-٣ وفي بعض الحالات النادرة في التاريخ الألسنيّ نجد أنّ الشعب الفاتح، بدلًا من أن يؤثّر في لغة الأمّة التي أخضعها لسلطانه أو يفرض لغته عليها، نراه هو قد تأثّر بلغة تلك الأمّة. فالمغول، الذين احتلّوا عاصمة الخلافة العبّاسيّة بغداد في ١٧ كانون الثاني ١٢٥٨، لم يستطيعوا لا فرض لغتهم على العرب ولا حتّى مجرّد التأثير على اللغة العربيّة. لقد انتهى بهم الأمر إلى اعتناق الإسلام واستعمال اللغة العربيّة.

١-٤ واللغة، أيّ لغة كانت، لا تستعير دائمًا ما تحتاجه فقط من كلمات من لغة أخرى، بل قد يحدث أحيانًا أن تأخذ كلمات لا تحتاج إليها لأنّها تدلّ عليها كلمات في اللغة نفسها. لكن الذي يحدث بعدئذٍ لهاتين الكلمتين، الأصيلة والدخيلة، هو إمّا أن تزول إحداهما وتموت، أو تبقى كلتاهما مع تعطيل لمعنى إحداهما أو استعمالها بصورة طفيفة.

فاللغة الإنكليزيّة، مثلًا، استعارت الكثير من الكلمات التي لم تكن محتاجة إليها قطّ لكونها كانت تمتلك الكلمات التي تقابلها. وتاريخ هذه الكلمات الدخيلة في اللغة الإنكليزيّة يُظهر أنّ بعضها استطاع بالفعل أن يحلّ محلّ الكلمات الإنكليزيّة الأصيلة ويطردها من اللغة، في حين أنّ البعض الآخر لم يستطع ذلك، فبقي معايشًا الكلمات الأصيلة في اللغة بعد أن فُرّق بينهما في المعنى.

فمن الكلمات الإنكليزيّة التي استبدلت نهائيًا بكلمات دخيلة نذكر: الكلمة الإنكليزيّة القديمة niman «أخذ» استبدلت بالكلمة الإسكندناقيّة take «أخذ»، والإنكليزيّة القديمة weorpan «رمى» استبدلت بالإسكندناقيّة cast «رمى»، والإنكليزيّة القديمة aepele «نبيل» استبدلت بالكلمة الفرنسيّة noble «نبيل»، والإنكليزيّة القديمة ālȳs «خلّص» حلّت محلّها الفرنسيّة deliver «خلّص»، والإنكليزيّة القديمة here «جيش» استبدلت بالفرنسيّة army «جيش»، والإنكليزيّة القديمة dryhten «أمير» استبدلت بالفرنسيّة prince «أمير».

ومن الأمثلة التي تُبيّن أنّ اللغة الإنكليزيّة احتفظت أحيانًا بالكلمتين، الأصيلة والدخيلة معًا، بعد إدخال تعديل على معنى إحداهما لتسويغ وجودها نذكر: الإنكليزيّة deer تعني الآن «أيّل، غزال» بينما في الإنكليزيّة القديمة كانت تستعمل بشكل رئيسيّ للدلالة على أيّ حيوان وتكتب dēor. السبب في هذا التغيير في المعنى ناتج عن استعارة كلمة animal «حيوان» من اللاتينيّة. فالكلمة اللاتينيّة animal هي الآن تستعمل للدلالة على أيّ حيوان بينما الكلمة الإنكليزيّة المقابلة حُصر معناها بنوع معيّن من الحيوان. الكلمة الإنكليزيّة mutton «لحم الضأن» هي مستعارة من الفرنسيّة القديمة moton، التي تعني بشكل رئيسيّ «ضأن» فعندما استعارتها اللغة الإنكليزيّة لم تستعملها للدلالة على «الغنم»، بل حصرت معناها «بلحم الضأن» وأبقت على كلمتها sheep لتدلّ على «الضأن».

واللغة العربيّة الفصحى استعارت أيضًا من بعض اللغات عددًا من الكلمات التي كانت بغنى عنها، على أنّ أكثريّة هذه الكلمات قد هُجر ومات. لقد ذكرنا سابقًا العديد من الكلمات المماتة التي أتت من الفارسيّة، أمثال سيب «تفّاح» وخربز «بطّيخ» وبذج «خروف». فمن الكلمات التي بقيت في اللغة نذكر الفارسيّة «باذنجان» التي استطاعت أن تطرد من اللغة حوالي سبع أسماء أصيلة تدلّ على «باذنجان»، مثل حدق وحيصل ومفد وكهكب، إلخ، والفارسيّة «ياسمين» التي استطاعت أن تحلّ محلّ السّمسق والسّجلّاط، والفارسيّة «نرجس» التي حلّت محلّ «العبهر».

١-٥ والكلمة الدخيلة قد تدخل اللغة عبر طريقين: (١) طريقة الاستعارة المباشرة من اللغة صاحبة الكلمة، و(٢) طريقة الاستعارة غير المباشرة من اللغة صاحبة الكلمة بواسطة لغة ثالثة أو أكثر. فكلمتا wall «حائط» و angel «ملاك» الدخيلتان على الإنكليزيّة توضّحان هاتين الطريقتين من الاستعارة. الكلمة الأولى أخذتها الإنكليزيّة من اللغة اللاتينيّة بطريقة مباشرة، أي بدون وسيط. أمّا الكلمة الثانية فلقد أخذتها الإنكليزيّة من اللغة اليونانيّة angelos بطريقة غير مباشرة، أي عبر اللغة اللاتينيّة. فاللغة اللاتينيّة أخذت كلمتها angelus من اللغة اليونانيّة. ومن اللاتينيّة انتقلت هذه الكلمة إلى الإنكليزيّة. فالكلمة الإنكليزيّة angel، إذن، استعارة من اللاتينيّة angelus، التي بدورها استعارة من اليونانيّة angelos، التي تعني في الأصل «رسول».

وقد تأخذ لغة كلمات من لغة أخرى عبر أكثر من وسيط. فكلمة hazard «مصادفة، مخاطرة» في اللغة الإنكليزيّة هي في نهاية المطاف من العربيّة «الزهر». لقد أخذت اللغة الإنكليزيّة هذه الكلمة من الفرنسيّة hazard «الزهر»، والفرنسيّة أخذتها من الإسبانيّة azar «الزهر»، وهذه بدورها أخذتها من العربيّة. ومن الجدير بالذكر أنّ كلمة hazard عندما دخلت الإنكليزيّة كانت تعني «الزهر» فقط(٤).

والكلمة اليابانيّة koohii «قهوة» هي أيضًا في نهاية الأمر من العربيّة «قهوة». لقد أخذت اليابانيّة هذه الكلمة من الهولّنديّة koffie، والهولّنديّة، كغيرها من اللغات الأوروبيّة، أخذتها من التركيّة kahve، وهذه بدورها من اللغة العربيّة.

فالكلمة الدخيلة، إذن، قد يكون لها تاريخ طويل في التنقّل والتجوال من لغة إلى أخرى وفي قطع المسافات الشاسعة بين مشارق الأرض ومغاربها. فالكلمة الإنكليزيّة orange «برتقال، نارنج»، المنتشرة بين اللغات الأوروبيّة (في الفرنسيّة والألمانيّة orange، اليونانيّة nerantsi،

(٤) أنظر قصيدة تشوسر (Chaucer): «The Pardoner Tale»، سطري ٤٦٥ و٥٩١.

إلخ)، أتت من اللغة الفرنسيّة، وهذه بدورها أخذتها من العربيّة «نارنج» والعرب أخذوها من الفارسيّة «نارنك» (nārang)، والفرس بدورهم استعاروها من السنسكريتيّة «نارنكة» (nârangah).

١-٦ والكلمة الدخيلة من حيث اللفظ تخضع دائمًا للنظام الصوتيّ للّغة التي دخلت إليها. فإذا كانت هذه الكلمة تحتوي صوتًا أو حرفًا لا يوجد في نظام تلك اللغة الصوتيّ، فإنّ هذا الصوت قد يُبدَّل بصوت موجود في اللغة. على أنّ هناك قوانين تتحكّم بعمليّة البدل هذه. فالصوت البديل يجب أن يكون مماثلاً للصوت المبدَّل منه في المخرج والنُطق.

فاللغات الأوروبيّة التي استعارت كلمات عربيّة تحتوي حرف «القاف»، مثلاً، غيّرت هذا الحرف، نظرًا لعدم وجوده في أنظمتها الصوتيّة، إلى حرف «كاف» لتقارب نطقه ومخرجه من حرف «القاف»[٥]، كما في اللاتينيّة carratus من «قيراط» و talcum من «طلق»، وفي الفرنسيّة candi من «قند» و coton من «قطن»، وفي الإسبانيّة alcazar من «القصر».

ويُقال حرف بحرف مشابه له على النحو الذي أشرنا إليه أعلاه هو ظاهرة عامّة تراها في كلّ اللغات. فاللغة اليابانيّة، مثلاً، تبدّل حرف /٧/ (يُرمز له بـ /ف/، وهو الصنو المجهور لحرف «الفاء» المهموس) في الكلمات المستعارة بحرف «الباء»، كما في terebi «تلفزيون أو مذياع مرئيّ» من الإنكليزيّة television و baiorin «كمان» من الإنكليزيّة violin. كما أنّها تُبدّل حرف «اللام» بحرف «الراء»، كما في garasu «زجاج» من الهولنديّة glass و ramone «عصير الليمون من الإنكليزيّة lemonde.

وللغة العربيّة، كغيرها من اللغات، تُخضع الكلمة المستعارة لنظامها الصوتيّ. فالنظام الصوتيّ للغة العربيّة لا يشتمل، مثلاً، على حرف /p/ (يُرمز له بـ /پ/، الصنو المهموس لحرف «الباء» المجهور) لهذا، فاللغة

(٥) في حدّ قليل من الكلمات «القاف» تبدّل بحرف /g/ (يُلفظ كالجيم في اللهجة المصريّة) وهو الصنو المجهور لحرف «الكاف» المهموس، كما في الإسبانيّة guitarra (الفرنسيّة والإنكليزيّة guitar) من «قيثارة» وفي الفرنسيّة goudron من «قطران».

العربيّة تعمد دائمًا إلى إبداله بحرف يماثله وهو عادة حرف «الفاء» (في بعض الأحيان «الباء» وهو صنوه المجهور)، كما في «فرند» من الفارسيّة پرند (parand)، «فيروز» من پيروز، و«فلفل» من پلپل.

ومن المهمّ الإشارة هنا إلى أنّ إبدال حرف بحرف آخر، كما رأينا أعلاه، ليس مقصورًا فقط على الحروف التي لا توجد في النظام الصوتيّ للغة المستعيرة، بل نجد في كثير من الأحيان أنّ اللغة قد تُبدّل أحد أصوات الكلمة المستعارة بصوت آخر بالرغم من أنّ الصوت المُبدّل منه موجود فيها. فالإنكليزيّة، مثلًا، عندما استعارت من العربيّة كلمة «يربوع» قامت (إذا استثنينا الحركات) بإبدال حرف «الياء» بحرف «الدجيم» لتصبح الكلمة jerboa[٦]. من الأمثلة المشابهة: اللاتينيّة giraffa من العربيّة «زرافة»، والفرنسيّة jasmin من «ياسمين»، الإنكليزيّة plum «خوخ» (في الإنكليزيّة القديمة plūme) من اللاتينيّة prunum، والعربيّة قنبلة من التركيّة koumbara، واليابانيّة شينما «سينما أو خيالة» من الإنكليزيّة سينما (cinema).

وقد تعمد اللغة أحيانًا إلى حذف صوت أو مقطع أو حتّى مقاطع من الكلمة المستعارة بغية تسهيل لفظها أو تقصيرها. فالإنكليزيّة squash «يقطين» هي كلّ ما بقي بعد الحذف من الكلمة المماثة isquoutersquash المأخوذة من لغات الهنود الحمر. ومن الأمثلة المشابهة نذكر: الإيطاليّة arsenale (الفرنسيّة والإنكليزيّة arsenal) «ترسانة، دار الأسلحة»، من العربيّة «دار الصناعة»، الإسبانيّة almaraco من «المردقوش»، واليابانيّة totan «زنك» من البرتغاليّة tutanaga.

وكما تحذف اللغة صوتًا أو أكثر من الكلمة المستعارة، فإنّها قد تزيد

---

(٦) حرف «الجيم» يتعرّض غالبًا للحذف في الكلمات المستعارة من العربيّة. قارن، مثلًا، اللاتينيّة safranum من «زعفران» و ambra من «عنبر»، والإيطاليّة tariffa من «تعريفة»، والإسبانيّة albarda من «البردعة»، والإنكليزيّة afreet من «عفريت»، والفرنسيّة luth من «العود».

صوتًا أو أكثر عليها. فاللاتينيّة، مثلًا، قد زادت «الميم» في كلمة camphora من العربيّة «كافور»، والإنكليزيّة «الدال» في admiral المستعارة من الفرنسيّة amiral (هذه بدورها استعارة من العربيّة «أمير آلْ (بحر)»)، والإنكليزيّة «الميم» في jumble المأخوذة من العربيّة «جَبَلَ»، واليابانيّة «النون» في pen «طلاء» من الهولنديّة pek. ومهما يكن من أمر، فالزيادة في بعض الأحيان قد يقتضيها نظام اللغة الصوتيّ. فزيادة /إ/ في الكلمة العربيّة «إسفنج» المأخوذة من اليونانيّة spongus مردّها إلى أنّ نظام بُنية الكلمة الصوتيّ في اللغة العربيّة لا يسمح لأيّة كلمة أن تبدأ بصوت ساكن. فتعريب الكلمة هنا أملى زيادة /إ/.

١-٧ وللاستعارات على أنواع متعدّدة. الأهمّ والأكثر شيوعًا منها هو «استعارة مفردات»، كما استعارت العربيّة «جاموس» و«ياسمين» من الفارسيّة، والفرنسيّة limon «ليمون» و jarre «جرّة» من العربيّة، والإنكليزيّة air «هواء» و poet «شاعر» من الفرنسيّة، واليابانيّة kinu «حرير» و tea «مخراب» من الصينيّة.

وقد تأخذ لغة من لغة أخرى المفردة نفسها مرّتين وأحيانًا أكثر. فهذا النوع من الكلمات المتحدّرة من نفس المنبع قد نسمّيه «كلمات صنويّة». فالكلمات الإنكليزيّة genteel «مهذّب»، gentle «رقيق، لطيف»، و jaunty «متأنّق، مرح» هي كلمات صنويّة لأنّها مأخوذة من مصدر واحد هو الفرنسيّة gentil؛ كذلك الحال بالنسبة إلى الإنكليزيّة wine «نبيذ» و vine «كرمة، دالية» كلاهما في نهاية المطاف من اللاتينيّة vīnum. الكلمة الأولى أُخذت من اللاتينيّة بشكل مباشر (الإنكليزيّة القديمة win «نبيذ»)، أمّا الثانية فجاءت من اللاتينيّة إلى الإنكليزيّة عبر اللغة الفرنسيّة. وبالمثل، فالكلمتان الفرنسيّتان machine و mécanique هما في النهاية من اليونانيّة mēkhanē «آلة» المشتقّة من mēkhos «وسيلة». لقد دخلا إلى الفرنسيّة عبر اللغة اللاتينيّة.

وقد تعمد اللغة في بعض الأحيان إلى ترجمة الكلمة أو العبارة بدلًا

من أن تستعيرها، وهذا ما يسمّى «استعارات مترجمة». فالإنكليزيّة The Holy Ghost «الروح القدس» (الإنكليزيّة القديمة hāliga gāst) هي استعارة مترجمة للّاتينيّة spiritus sanctus. والعربيّة «كرة القدم» والألمانيّة fussball التي تعبّر عن نفس المعنى هما استعارتان مترجمتان للإنكليزيّة football. كذلك الحال بالنسبة إلى الإيطاليّة gratta-cielo والفرنسيّة gratte-ciel والإسبانيّة rascacielos والروسيّة nebos-kr'op التي هي استعارات مترجمة للإنكليزيّة الأمريكيّة sky-scraper «ناطحة السماء». الكلمتان العربيّة «ناطحة السحاب» والألمانيّة wolken-kratzer هما أيضًا استعارتان مترجمتان للكلمة الإنكليزيّة الآنفة الذكر، ولكنّهما تتميّزان باستعمال «سحاب» بدلاً من «سماء».

وقد يحدث أحيانًا أن تستعير لغة من لغة أخرى معنى الكلمة فقط. فالكلمة الإنكليزيّة dream كانت تعني في اللغة الإنكليزيّة القديمة «فرح»، أمّا في الإنكليزيّة الوسيطة فأصبح معناها كما هو اليوم «حلم». هذا المعنى الجديد للكلمة أخذته الإنكليزيّة من الكلمة الإسكندنافيّة القديمة draumr «حلم». وبالمثل، فإنّ معنى كلمة plow «حرث» في الإنكليزيّة مأخوذ من معنى أختها الإسكندنافيّة plōgr «حرث» (فعل plœgja)، لأنّ معنى هذه الكلمة في الإنكليزيّة القديمة كان فقط «مقياس للأرض».

والكلمة الفرنسيّة manoeuvre تعني الآن «مناورة». أمّا في السابق (كما في الفرنسيّة القديمة maneuvre) فكان معناها فقط «عمل يدويّ» من اللاتينيّة manuopera. فالمعنى الجديد للكلمة الفرنسيّة مأخوذ من العربيّة مناورة.

وفي بعض الحالات قد تستعير اللغة شكل الكلمة وليس معناها. فالكلمة الإنكليزيّة boon «نعمة، بركة» ليست تطوّرًا أو امتدادًا في شكلها الصوتيّ للإنكليزيّة القديمة bēn، بل بالأحرى تدين بهذا الشكل للكلمة الإسكندنافيّة القديمة bōn. فلو كانت من الإنكليزيّة القديمة bēn لكان لفظها الآن been (بين) وليس boon (بون)، لأنّ الحركة ē في الإنكليزيّة القديمة

تطوّرت إلى /i/ في الإنكليزيّة الحديثة (قارن الإنكليزيّة القديمة Fēt: الحديثة Feet / فيت/ والقديمة cwēn «ملكة»: الحديثة queen / كوين/) بينما الحركة ō تطوّرت-إلى /u/ (قارن الإنكليزيّة القديمة fōda «طعام»: الحديثة food /فود/ والقديمة gōs «إوزّة»: الحديثة goose). فلفظ الكلمة boon في الإنكليزيّة الحديثة بحركة /u/ بدلًا من /i/ هو دليل بأنّها ليست امتدادًا للإنكليزيّة القديمة bēn. فشكل الكلمة الصوتيّ، إذن، هو استعارة من الإسكندناقيّة القديمة.

لقد رأينا إلى الآن أنّ اللغة قد تستعير «كلمة كاملة»، أي شكل الكلمة ومعناها مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ الشكل الصوتيّ للكلمة قد يطرأ عليه بعض التعديل من إبدال أو حذف لصوت أو أكثر بما يقتضيه نظام اللغة الصوتيّ كما رأينا في الفقرة ١-٦ أعلاه، أو قد «تترجم» الكلمة بدلًا من أن تستعيرها، أو قد تستعير «معنى» الكلمة فقط، أو قد تستعير «شكلها». بالإضافة إلى هذه الأنواع، ما زال هناك نوع من الاستعارة يتعلّق باستعمال الكلمة. فقد يحدث أحيانًا أن تكون كلمة نادرة الاستعمال في سياق أو معنى معيّن، ثمّ يشيع استعمالها بتأثير كلمة تقابلها في لغة أخرى.

فحرف الجرّ /of/ في اللغة الإنكليزيّة، مثلًا، يستعمل بشكل رئيسيّ للدلالة على الملكيّة (عائد لِ، خاصّ بـ، إلخ)، كما في The title of the book «عنوان الكتاب» وفي The leg of the table «رجل الطاولة». هذا الاستعمال للحرف /of/ كان نادرًا في الإنكليزيّة القديمة[٧]. ولم يصبح شائعًا إلّا في عصر اللغة الوسيط (بعد القرن الثاني عشر)، والسبب في هذا يعود إلى تأثير حرف الجر الفرنسيّ /de/، الذي يستعمل في اللغة الفرنسيّة للتعبير عن الملكيّة. فحرف الجر الفرنسيّ /de/ هنا أعطى حياة جديدة للحرف الإنكليزيّ /of/ الذي كان مهجورًا في الإنكليزيّة القديمة.

وبالمثل، فقد كان من المحتمل أن تموت الكلمة الإنكليزيّة dale

(٧) في اللغة الإنكليزيّة القديمة كانت /of/ تُستعمل بشكل رئيسيّ لتدلّ على «الأصل أو المصدر»، كما يُستعمل حرف الجر «من» في العربيّة في هذه الحالة.

«وهدة، وادٍ» من الإنكليزيّة القديمة dael التي كانت نادرة الاستعمال لولا أنّ أختها الإسكندنافيّة القديمة dal أعطتها حياة جديدة[٨].

٨-١ «استعارة كلمات»، إذن، وكما أشرنا أعلاه، هي أهمّ نوع من أنواع الاستعارات وأكثرها شيوعًا بين اللغات. فليس من لغة في العالم، منقرضة كانت أم حيّة، لم تستعر كلمات من لغات أخرى، ولا سيّما إذا كانت مجاورة. على أنّ هذه الحقيقة يجب أن لا تترك الانطباع بأنّ اللغة قد تستعير أيّ كلمة كانت من لغة أخرى. فالكلمات التي تنتمي إلى شرائح معيّنة في معجم اللغة (كتلك التي تدلّ على أعضاء الجسم والقرابة العائليّة وأشياء في الطبيعة وبعض الحيوانات) لا تستعيرها عادة لغة من لغة أخرى، لأنّ مثل هذه الكلمات تشكّل الخلايا الأساسيّة أو العمود الفقريّ لمعجم أيّة لغة.

فمن النادر أن تستعير لغة من لغة أخرى ألفاظًا تُطلق على أعضاء الجسم مثل «رأس»، «جسد»، «وجه»، «أنف»، «عين»، «لسان»، «رجل»، «قدم»، «دم»، إلى ما هنالك. ومع ذلك، فلقد استعارت الإنكليزيّة كلمة Face «وجه» من الفرنسيّة «Face»[٩]، واللغة اللاتينيّة كلمة ribа «ضلع» من الألمانيّة (المنخفضة) الوسيطة ribbe «ضلع»، والإيرلنديّة كلمة corp «جسد، بدن» من اللاتينيّة corpus التي تعبّر عن المعنى نفسه.

واستعارة كلمات تختصّ بالقرابة العائليّة مثل «أب»، «أمّ»، «أخ»، «أخت»، «حفيد»، «زوج»، «ولد»، «رجل»، إلى ما هنالك، هي أيضًا نادرة الحدوث. ومع هذا، فإنّنا نجد أنّ اللغة الليثوانيّة قد استعارت كلمة anukas «حفيد» من اللغة الأوكرانيّة onuk «حفيد»، واستعارت السويديّة

(٨) الإسكندنافيّون، معظمهم دنمركيّون، احتلّوا واستوطنوا أجزاء من إنكلترة، خاصّة في الشمال والشرق، في القرن التاسع والعاشر. وفي سنة ١٠١٣ احتلّوا كلّ إنكلترة وحكموها حتى سنة ١٠٤٢. لهذا تركت اللغة الإسكندنافيّة تأثيرًا كبيرًا على الإنكليزيّة؛ فنحو ٥٪ من الكلمات في الإنكليزيّة هي من أصل إسكندنافيّ.

(٩) الفرنسيّة «Face» لم تعد تطلق على «وجه الإنسان» منذ القرن السابع عشر. الكلمة المستعملة منذ ذلك الحين هي visage.

كلمة pojke «صبيّ، ولد» من الفنلنديّة poika التي تعبّر عن المعنى ذاته، واستعارت الألبانيّة shoq «زوج، بعل» و shoqe «زوجة» من اللاتينيّة socius «صاحب، قرين». كذلك فإنّ الكلمات الدّالّة على «ابن العمّ، ابنة العمّ» في بعض اللغات الأوروبيّة كالإنكليزيّة cousin، الدنمركيّة kusine، والبولنديّة kuzyn, kuzyna مأخوذة من الفرنسيّة cousin, cousine.

وعلى الرغم من أنّ اللغات لا تستعير كلمات تدلّ على أشياء في الوجود وظواهر طبيعيّة مثل «شمس»، «قمر»، «سماء»، «حرّ»، «برد»، «رعد» «برق»، «غيم»، «نار»، «دخان»، «ماء»، «أرض»، «شجرة»، «حجر»، إلى ما هنالك، فإنّنا نجد أنّ هناك لغات قد استعارت بعضًا من هذه الكلمات من لغات أخرى. فاللغة الروسيّة استعارت كلمة tuman «ضباب» من اللغة التركيّة duman «دخان»، واستعارت الفرنسيّة كلمة boue «وحل» من اللغات الكلتيّة: ففي لغة الوالش baw تعني «الوسخ، الأقذار»، واستعارت الإنكليزيّة كلمة sky «سماء» من الإسكندناڤيّة: ففي اللغة الدنمركيّة sky تعني «سماء»، واستعارت البولنديّة lad «أرض، برّ» من الألمانيّة land، واستعارت اللاتينيّة petra «صخرة، حجر» من اليونانيّة petra «صخرة».

كذلك، فاللغة لا تأخذ عادة من لغة أخرى أسماء الحيوانات والطيور التي يعيش عليها أهل اللغة مثل «بقر»، «ثور»، «غنم»، «خرُوف»، «ماعز»، «طير»، «دجاج»، «أيّل» و«نحل»، أو أسماء بعض الحيوانات المفترسة والزواحف والحشرات الكائنة في بيئة أهل اللغة مثل «ثعلب»، «ذئب»، «أفعى»، «عقرب»، «ذباب» وما إلى ذلك. ومع هذا، فإنّنا نجد أنّ عددًا قليلًا من اللغات قد أخذ بعض هذه الكلمات من لغات أخرى. فالإيطاليّة montone «كبش» والفرنسيّة mouton «غنم» هما في نهاية الأمر من اللغة الكلتيّة: كما في الإيرلنديّة molt وفي الوالش mollt «كبش ضأن»، وأخذت الإنكليزيّة serpent «حيّة» من الفرنسيّة serpent «حيّة»، وأخذت اليونانيّة katsiki «ماعز» من الألبانيّة kats، وأخذت اليابانيّة uma «حصان» من الصينيّة ma «حصان».

وهناك عدد من الأفعال والصفات والأسماء الأساسيَّة التي يندر انتقالها من لغة إلى لغة أخرى مثل «أكل»، «شرب»، «تكلَّم»، «ضحك»، «بكى»، «لعب»، «جاء»، «ذهب»، «مات»، «عاش»، «قفز»، «طويل»، «قصير»، «صغير»، «كبير»، «حُبّ»، «كره»، «خبز»، «حليب»، «لغة»، وأشباه ذلك. إلَّا أنّ ثمَّة لغات قد استعارت بعض هذه الكلمات من لغات أخرى. فالكلمة الإنكليزيَّة cry «بكى» هي استعارة من الفرنسيَّة crier «بكى»، والكلمة الولشيَّة trist «حزين» هي من اللاتينيَّة tristis «حزين»، والكلمة الليثوانيَّة juoktis «ضحك» (joukauti «ضحك، مزح») هي من اللاتينيَّة iuoks (jocus) «مزح»، واليابانيَّة pan «خبز» هي من البرتغاليَّة pão «خبز».

١-٩ وفضلاً عن هذه الكلمات التي ناقشناها إلى الآن، هناك كلمات (كالأعداد والضمائر، إلخ) مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمعجم كلّ لغة على حدة بحيث يُستبعد أن تتخلّى عنها اللغة لتحلّ محلّها كلمات دخيلة.

فمن الأمور النادرة جدًّا أن تستعير لغة من لغة أخرى الأعداد، خاصَّة الأعداد المفردة. ومع هذا، فإنّنا نجد أنّ الإنكليزيَّة استعارت second «ثاني» من الفرنسيَّة، واستعارت الهوسا شدَّة «ستّة» وتُمني «ثُمن» من العربيَّة. وبالطبع، فإنّ كلمة «صفر» العربيَّة منتشرة في لغات العالم، كذلك الحال بالنسبة إلى كلمة «مليون» الإيطاليَّة.

وعلى العموم، فاللغة لا تستعير أسماء الإشارة والأسماء الموصولة والضمائر وحروف الجرّ والزوائد (أو اللواحق). ومع ذلك، فالإنكليزيَّة، مثلاً، أخذت من الإسكندناڤيَّة ضمائر جمع الغائبين: they و them و their. كذلك، both «كلا» وحرف الجرّ fro «إلى الوراء، إلى الخلف» (fro تُستعمل فقط في to and fro «إقبالاً وإدبارًا»). ومن العربيَّة الزائد «ي» /i/، الذي يدلّ على النسب، كما في Pakistani «باكستانيّ» و Israeli «إسرائيليّ»، ومن الفرنسيَّة الزائد أَلْ /al-/، الذي يحوّل الاسم إلى صفة، كما في central «مركزيّ» من center «مركز».

إشارتنا العابرة إلى «الزوائد» تستدعي بعض التوضيح لأنَّ هناك نوعًا

من الزوائد لا تستعيره لغة من لغة أخرى. وحتّى يكون التوضيح وافيًا، يقتضينا الأمر التعريف بالزوائد وأنواعها.

فالزائد هو حرف أو مقطع يضاف إلى الجذر أو أصل الكلمة إمّا لتوليد كلمة جديدة (كما في «ملعب» من «لعب») وإمّا للدلالة على وظيفة الكلمة في الجملة وعلاقتها بغيرها من الكلمات. والزائد هذا على أنواع، يعنينا منها ثلاثة هي: (١) البادئة وتزاد في بداية الكلمة أو الجذر كما في العربيّة /م-/ في «مجمع» من «جمع» و «مقهى» من «قهوة»، والإنكليزيّة /en-/ في enlarge «وسّع، كبّر» من large «وسيع، فسيح»، والملايويّة، لغة مدغشقر، /mi-/ في mihira «غنّى» من hira «أغنية»؛ (٢) الداخليّ أو «الضمنيّ» ويترك ضمن الجذر أو أصل الكلمة مثل الزائد الضمنيّ /-um-/ في لغة بنتوك (إحدى لغات الفلبين) في Fumikas «يُصبح قويًّا» من Fikas «قويّ» و /-in-/ في kinayu «حطب مُجمَّع» من kayu «حطب»، والزائد الضمنيّ /ت/ في اللغة العربيّة كما في اجتمع، افتتح، ارتفع، والزائد الضمنيّ /-n-/ في اللغة الإنكليزيّة كما في passenger من passage[١٠]؛ و(٣) الزائد النهائيّ الذي يزاد في نهاية الكلمة كما في العربيّة /-م/ في «حلقوم» من «حلق»، وفي السنسكريتيّة /-ya-/ في hiranyaya «ذهبيّ» من hiranya «ذهب»، وفي اللاتينيّة /-us/ في pondus «وَزْن» من pendō «وَزَنَ».

وتقسم الزوائد، بحسب وظيفتها اللغويّة، إلى قسمين: زائد اشتقاقيّ وزائد صرفيّ.

الزائد الاشتقاقيّ يُغيّر عادةً النوع الذي تندرج تحته الكلمة؛ فالاسم قد يتحوّل إلى صفة أو فعل، والصفة إلى اسم أو فعل أو ظرف، وهكذا. فالصفة large «وسيع» في اللغة الإنكليزيّة، مثلًا، قد تتحوّل إلى فعل بزيادة البادئة /en-/ كما في enlarge «وسّع» أو إلى ظرف بزيادة الزائد النهائيّ /-ly/

(١٠) الزائد الضمنيّ /-n-/ في الإنكليزيّة يقتصر استعماله على بضعة كلمات فقط ويشترط دائمًا وجود الزائد النهائيّ /-er/.

كما في largely «بتوسّع، باتّساع»، والفعل enlarge قد يتحوّل بدوره إلى اسم بزيادة الزائد النهائيّ /-ment/ كما في enlargement «توسيع». ومثل هذا التغيير لنوع الكلمة قد لا يحصل دائمًا. فإضافة /-re/ في الإنكليزيّة للفعل write «كتب» كما في rewrite «كتب من جديد» أو / إن ـ/ في العربيّة لفعل «خفض» كما في «انخفض»، أو lus (التصغيريّة) في اللاتينيّة في Filiolus ابن (صغير) من Filius «ابن» لا يغيّر النوع الذي تنتمي إليه الكلمة، بل، على العكس، يولّد كلمة جديدة تنتمي إلى النوع نفسه.

الزائد الصرفيّ، من جهة أخرى، لا يغيّر النوع الذي تندرج تحته الكلمة، بل يضاف إليها ليدلّ على وظيفتها في الجملة وعلاقتها بسواها من الكلمات. فالحركات (ضمّة وفتحة وكسرة) التي تعبّر عن حالات الرفع والنصب والجرّ في العربيّة، كما في: «كتابُ» و«كتابَ» و«كتابٍ» على الترتيب، هي لواحق نهائيّة صرفيّة. كذلك الحال بالنسبة إلى اللواحق التي تدلّ على المثنّى والجمع وزمن الفعل والتفضيل.

في حين أنّ الزائد الاشتقاقيّ قد تستعيره لغة من لغة أخرى، وإن نادرًا، كما استعارت الإنكليزيّة بعض الزوائد من لغات أخرى على النحو الذي بيّناه أعلاه، فإنّ الزائد الصرفيّ، الذي هو العنصر الأساسيّ لقواعد اللغة، لا تستعيره لغة من لغة أخرى. فكلّ اللغات تتحاشى أخذ زوائد صرفيّة من لغات أخرى وتميل إلى تطبيق قواعدها الصرفيّة على الكلمات المستعارة. فجمع الكلمة العربيّة «فلم» المستعارة من الإنكليزيّة film، مثلًا هو «أفلام»، وليس «films» كما في الإنكليزيّة. فاللغة العربيّة تخضع الكلمة المستعارة لنظامها الصرفيّ، وهذا دأب كلّ اللغات. فاللغة، إذن، تأخذ كلمة من لغة أخرى وتُطبّق عليها قواعدها. فهي لا تستعير القواعد الصرفيّة التي تُطبّق على تلك الكلمة في لغة مصدرها. وهذا الحكم، كغيره من الأحكام التي ذكرناها إلى الآن، ليس مطلقًا. فهناك عدد قليل من اللغات يحتوي نظامها القواعديّ زوائد صرفيّة مستعارة. فاللغة الإنكليزيّة، مثلًا، قد استعارت عددًا من الكلمات مع صيغ جمعها من بعض اللغات، وهي بهذا قد أخفقت في تطبيق طريقة الجمع الشائعة عندها (وهي إضافة الزائد

النهائيّ s-) لكلّ الكلمات المستعارة. فمن هذه الكلمات نذكر على سبيل المثال: criteria جمع لِـ criterion «معيار» من اللغة اليونانيّة، formulae جمع لِـ formula «قاعدة، معادلة» من اللاتينيّة، و jinn جمع لِـ jinni «جنّي» من العربيّة.

وأخيرًا، لا تستعير اللغة صوتًا، سواء أكان حرفًا أم حركة، من لغة أخرى. ومع هذا، فهناك حالات قليلة نجد فيها أنّ بعض اللغات قد أخذت من لغات أخرى أصواتًا لم تكن موجودة في أنظمتها الصوتيّة كنتيجة لاستعارة كلمات تشتمل على تلك الأصوات.

فاللغة الجاكلتيّة، إحدى لغات الهنود الحمر المحكيّة في غواتيمالا، يفتقر نظامها الصوتيّ في الأساس إلى حرفي «الباء» و«الجيم» (تلفظ كالجيم في اللهجة المصريّة)، ولكن استعارتها المتكرّرة لكلمات من اللغة الإسبانيّة تحتوي هذين الحرفين أدّت في نهاية الأمر إلى دخولهما اللغة. فمن هذه الكلمات نذكر: الجاكلتيّة seboya «بصل» من الإسبانيّة cebolla و trigo «قمح» من الإسبانيّة trigo.

ومهما يكن من أمر، فوجود هذين الحرفين في الجاكلتيّة هو دائمًا مقيَّد، بمعنى أنّهما لا يظهران أبدًا إلّا في الكلمات المأخوذة من اللغة الإسبانيّة. وهذه الحالة من التقييد للصوت الذي لا أصالة له في اللغة تراها في كلّ اللغات التي دخلها أو تطوّر فيها صوت بسبب استعارة كلمات من لغات أخرى. فبالرغم من مرور أكثر من أربعة قرون على ظهور حرف «الجيم» (يلفظ كالجيم في اللهجة اللبنانيّة) في اللغة الإنكليزيّة، فإنّه للآن ما زال محصورًا لفظه في بعض الكلمات المأخوذة من اللغة الفرنسيّة التي يدين لها بتطوّره. فيظهر في وسط هذه الكلمات ويكتب -s-، كما في division «قِسم»، vision «رؤية»، pleasure «سرور»، و measure «كيل، قياس قاسَ». ويظهر أيضًا في نهاية الكلمة في rouge «حمرة». أمّا في كلمة garage «مرأب سيّارة»، فليس هناك إجماع على أنّ الحرف الأخير «جيم». فالبعض يلفظه «جيم» والبعض الآخر «دجيم».

بالإضافة إلى كون الكلمات المستعارة قد تؤدّي إلى إدخال صوت

تجديد في اللغة أو تطويره، فإنّها قد تساهم أو تؤثّر أيضًا في إحداث تغيير في توزيع الصّوت في اللغة. ففي اللغة الإنكليزيّة القديمة كان الصوت /ز/ (/z/)، مثلاً مجرّد صوت شكليّ (allophone) للصوت الأساسيّ[11] (phoneme) /س/ (/s/) لا يظهر إلّا في وسط الكلمة بين حرفين مجهورين، كما في cēosan «اختار». لكن في اللغة الوسيطة بدأ هذا الصوت يظهر في بداية الكلمات، والسبب في ذلك يكمن في استعارة كلمات من اللاتينيّة والفرنسيّة تبدأ بحرف «الزاي»، كما في zeal «حميّة، حماسة» (اللاتينيّة zelus) و zephyr «ريح غربيّة» (اللاتينيّة Zephyrus). فاستعارة اللغة الإنكليزيّة لكلمات من اللاتينيّة وغيرها قد أثّرت ولا شكّ في وضع حرف «الزاي». فبعد أن كان صوتًا شكليًّا لِـ /س/ أصبح صوتًا أساسيًّا في اللغة. والشيء نفسه ينطبق على حرف /ف/ (/v/)، الذي كان أيضًا شكلًا من أشكال لفظ الصوت الأساسيّ /ف/ (/f/) في وسط الكلمة في الإنكليزيّة القديمة.

١-١٠ ولئن كانت استعارة كلمات تنتمي إلى شرائح معيّنة من المعجم (كالأسماء التي تدلّ على القرابة العائليّة)، واستعارة زوائد، خاصّة الصرفيّة منها، واستعارة ضمائر وأعداد وحروف جرّ وأسماء إشارة وما إلى ذلك هي من الأمور النادرة الحصول بين اللغات، على النحو الذي بيّناه أعلاه، فإنّ استعارة أنماط نحويّة، أي كيفيّة استعمال الكلمات في الجملة وترتيبها، هي بالفعل من الأمور الأندر. ومع ذلك، فإنّنا نجد أنّ بعض اللغات قد تأثّرت بالأنماط النحويّة السائدة في بعض اللغات الأخرى التي احتكّت بها.

---

(11) الصوت الأساسيّ هو: أصغر وحدة صوتيّة في نظام اللغة الصوتيّ التي لا تحمل أو تعبّر عن أيّ معنى كان. وظيفتها التمييز في المعنى بين كلمات لولاها لكانت متطابقة. فمثلًا، كلمة «طينة» تدلّ على معنى مختلف عن ذلك الذي تدلّ عليه كلمة «تينة» بسبب حرفها الأوّل «الطاء». فحرف الطاء هنا هو صوت أساسيّ، كذلك «التاء».

الصوت الشكليّ هو: شكل أو طريقة من أشكال (أو طرق) لفظ الصوت الأساسيّ في مكان ما من الكلمة. فمثلًا، يُلفظ الصوت الأساسيّ /ن/ في كلمة «مَنْبَر» ميمًا: مَمْبَر بسبب وجود حرف «الباء». فحرف [م] هنا هو صوت شكليّ للصوت الأساسيّ /ن/.

ففي اللغة الإنكليزيّة، مثلاً، الصفة تسبق الموصوف، كما في beautiful girl «جميلة فتاة»، بعكس العربيّة «فتاة جميلة». على أنّ هناك عددًا من العبارات في الإنكليزيّة نجد فيها أنّ الصفة تتبع الموصوف، كما في notary public «كاتب عدل أو كاتب شرعيّ» و attorney general «مدّعي عامّ». السبب في هذا يعود إلى تأثّر الإنكليزيّة باللغة الفرنسيّة التي منها أُخذت هذه العبارات.

ويعزو لاهمن (Lehmann)[١٢] ورود المفعول به قبل الفعل في اللغة الأكاديّة، كما في «البوّابة يفتح»، بدلاً من «يفتح البوّابة» (كما في أخواتها اللغات السّامية كالعربيّة والعبريّة والآراميّة، إلخ) إلى تأثّر الأكاديّة باللغة السوماريّة التي فيها المفعول به يسبق الفعل.

١-١١ هدفنا من هذا العرض الموجز هو اطّلاع القارئ على الأسس النظريّة التي بنيت على ظاهرة الدخيل في اللغة. فهذه الظاهرة المنتشرة في كلّ اللغات، لكن بنسب متفاوتة جدًّا[١٣] جديرة بالبحث الموضوعيّ والعلميّ. على أنّ بحثًا كهذا يتطلّب تفهّمًا لحقائق هذه الظاهرة وما بني عليها من نظريّات، كما أنّه يحتّم على الباحث، وقبل أيّ شيء آخر، العلم بالمعايير العلميّة المتّبعة لمعرفة الدخيل في اللغة. السؤال الذي يطرح نفسه تلقائيًّا الآن: هل كلّ مَن تعرّض لدراسة المعرّب في اللغة العربيّة فعل ذلك عن علم ودراية بموضوع الدخيل أو عن جهل فاضح به؟ سنجيب عن هذا السؤال في بحث لاحق مهمّته سرد الحقائق الساطعة تاركًا للقارئ مهمّة الاستنتاج والحكم.

---

(١٢) ١٩٧٣ ص ٢٠١.

(١٣) هناك لغات، كالإنكليزيّة والأرمنيّة واليابانيّة والألبانيّة، تحتوي معاجمها على نسب عالية من الكلمات الدخيلة، وإن بدرجات متفاوتة. وبالمقابل، هناك بعض اللغات، كالعربيّة الفصحى والسنسكريتيّة، تحتوي معاجمها نسب متدنّية جدًّا من الكلمات الدخيلة. فمثلاً، تمثّل الكلمات الدخيلة في اللغة الإنكليزيّة ٨٥٪ أو ٨٦٪ من معجمها، في حين أنّ الكلمات الدخيلة في العربيّة، بحسب تقدير مجلّة المجمع اللغوي (الجزء الأوّل، ص ٢٠٠)، لا يربو عددها على الألف.

Anderson, James M., *Structural Aspects of Language Change*, London, 1973.
Anttila, Raimo, *An Introduction to Historical and Comparative Linguistics*, New-York, 1972.
Arlotto, Anthony, *Introduction to Historical Linguistics*, Boston, 1972.
Baugh, Albert C., *A History of the English Language*, 2nd ed., New-York, 1957.
Buck C. D., *A Dictionary of Selected Synonyms in the Principal Indo-European Languages*, Chicago, 1949.
Buck C. D., *Comparative Grammar of Greek and Latin*, Chicago, 1933.
Chejne, A., *The Arabic Language: Its Role in History*, Minneapolis, 1969.
Gray, Louis, *Foundations of Language*, New-York, 1939.
Jespersen, Otto, *Language: Its Nature, Development and Origin*, New-York, 1922.
Jespersen, Otto, *Growth and Structure of the English Language*, 9th ed., Oxford, 1954.
Lehmann, W. P., *Historical Linguistics: An Introduction*, 2nd ed., New-York, 1973.
Makki, E. M., *English and Its History: An Introduction*, Beirut, 1992.
Sapir, Edward, *Language*, New-York, 1921.
Serjeantson, Mary S., *A History of Foreign Words in English*, London, 1935.
Shopen, Timothy, *Languages and their Speakers*, Massachusetts, 1979.

ابن منظور، لسان العرب، تحقيق يوسف خيّاط، بيروت.
عبد الرحمن السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الفكر، بيروت.
الخليل بن أحمد الفراهدي، كتاب العين، مؤسّسة الأعلمي، بيروت.